

نصوص وتمثيلات: المدونات الأندلسية كمرآة للذهنية الجماعية

اتجاه مجتمع المغرب الإسلامي حتى القرن 6هـ

representations: Andalusian codes as a mirror of the Texts and collective mentality of the Maghreb's Islamic society until the 6th century AH.

نجاة هاشمي*، جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)

nadjet.hachemi@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2025 / 12 / 31

تاريخ القبول: 2025 / 11 / 21

تاريخ الاستلام: 2025 / 07 / 22

ملخص: اكتسبت الأندلس منذ فتحها سنة 92هـ/711م خصوصية حضارية، فرضتها عوامل عدة منها الجغرافية والسياسية والعسكرية والاجتماعية، هذه الخصوصية أثّرت في تشكل الذهنية الجماعية الأندلسية، التي تميزت بالصرامة وروح الفخر والاعتزاز، إلى جانب التسامح والتعايش. وهو ما أرخى بظلاله على نظرتها للآخر، خاصة مجتمع المغرب الإسلامي الذي ربطتها به علاقة جوار جغرافي وتمازج اجتماعي وحضاري، وترابط سياسي وعسكري، تجلّى واضحاً بخضوعها لسلطة الدولتين المغربيتين: المرابطية والموحدية، وبصفتها ثغراً مُتاخماً للنصارى، وهذا ما جعل التصورات الذهنية اتجاه مجتمع المغرب الإسلامي متفاوتة متغيرة على طول الخط الزمني من الفتح حتى القرن 6هـ.

فما هي التمثيلات والصور التي تعكسها المدونات الأندلسية عن مجتمع المغرب الإسلامي؟ وكيف تبدو الذهنية الأندلسية من خلالها؟

هذه هي الإشكالية الرئيسية للموضوع، والتي تندرج تحتها تساؤلات فرعية أهمها: إلى أي مدى استطاعت المدونات الأندلسية تجلية صورة الآخر المغربي وتوضيح ملامحه؟ وما طبيعة الصورة المرسومة؟ هل ما نستشفه من ذهنيات وتصورات الأندلسيين عن أهل المغرب في مدوناتهم هي صورة حقيقية لمخيال ومعتقد الفرد الأندلسي، أم مجرد انطباعات شخصية لكتّائها من أدباء ومؤرخين؟ ماهي العوامل والخلفيات التي شكلت هذه التصورات وأطرتها؟

كلمات مفتاحية: الأندلس، المغرب الإسلامي، التمثيلات، الذهنية الجماعية، المفاضلات، المرجعيات والأنساق، المدونات الأندلسية، البربر، دولة المرابطين، دولة الموحدين.

*- المؤلف المرسل

Abstract: Since its conquest in 92 AH/711 AD, Andalusia acquired a distinct cultural identity, imposed by several factors, including geography, politics, military, and society.

This uniqueness influenced the formation of the Andalusian collective mentality, characterized by rigor, a spirit of pride and dignity, along with tolerance and coexistence. This cast a shadow over its view of the other, especially the society of the Islamic Maghreb, with which it was linked by a relationship of geographical proximity, social and cultural intermingling, and political and military interdependence, which was clearly manifested in its submission to the authority of the two Moroccan states: the Almoravids and the Almohads, and in its capacity as a bordering border with the Christians.

This is what made the mental perceptions towards the society of the Islamic Maghreb different and changing along the timeline from the conquest until the 6th century AH, characterized by its duality often, according to what is inferred from the analytical reading of the Andalusian codes in their diversity, especially the literary ones, which were adorned with the art of comparison in which the Andalusians showed their distinction and pride in their identity. Not only in the Maghreb but also in the Levant, in order for the judgments to be credible and free from bias, the frameworks and references upon which the Andalusian mentality was based and contributed to its formation were examined, thus allowing for the interpretation of the representations contained in the texts, not just their abstraction and prominence, thus granting the judgments objectivity - as much as possible - free from bias and prejudice.

Keywords:

Andalusia - Islamic Maghreb - Mentalities - Systems and References - Berbers - Andalusian Codex - Representations, Comparisons, Almoravid State - Almohad State.

مقدمة: تكتسي العلاقة بين الأندلس والمغرب الإسلامي أهمية خاصة داخل الفضاء الإسلامي

الوسيط. أهمية فرضتها الجغرافيا من جهة، وطبيعة العلاقات المتداخلة التي تجاوزت حدود السياسي والعسكري، والتي بدأت منذ الفتح الإسلامي للأندلس سنة 92هـ / 711م، لأن جلّ الفاتحين الأوائل كانوا بربراً فإسهامهم في فتحها محوري، ووجودهم فيها ودخولهم إليها كان منذ البدايات الأولى، لذا فهم عنصر هام في نسيجها الاجتماعي والثقافي والسياسي. عزّز هذا التواجد المستمر على مدار التاريخ الأندلسي من أواصر الترابط، ومع ذلك فإن نظرة الأندلسيين إلى المجتمع المغربي ترنحت بين التجاذب والتنافر، والوصل والانفصال على مختلف الأصعدة، نستشف ذلك من المدونات التي سطّرتها أقلام أندلسية على مدار أزيد من أربعة قرون، هي الفترة الزمنية للدراسة، التي تتمحور حول إشكالية رئيسية مفادها: ما هي التمثيلات والصور التي تعكسها المدونات الأندلسية عن مجتمع المغرب الإسلامي؟ وكيف تبدو الذهنية الأندلسية من خلالها؟

تندرج تحتها تساؤلاً فرعية أهمها: إلى أي مدى استطاعت المدونات الأندلسية تجلية صورة الآخر المغربي وتوضيح ملامحه؟ وما طبيعة الصورة المرسومة؟ هل ما نستشفه من ذهنيات وتصورات الأندلسيين عن أهل المغرب في مدوناتهم هي صورة حقيقية لمخيل ومعتقد الفرد الأندلسي، أم مجرد انطباعات شخصية لكتّابها من أدباء ومؤرخين؟ ماهي العوامل والخلفيات التي شكلت هذه التصورات وأطرتها؟ هل هي وليدة روح العصبية وتضخم الأنا أم البيئة، أم أنها مجرد رد فعل على ممارسات البربر في الأندلس؟ وهل استطاع الأندلسيون التحلي بالموضوعية في نظرهم لمجتمع المغرب الإسلامي؟ كيف تبدو الذات الكاتبة من خلال مدوناتها؟ وما هي تجليات الذهنية الأندلسية التي تُستشف من النصوص؟

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل صورة المجتمع المغربي في الخطاب الأندلسي، وتبيين طبيعة العلاقة التي ربطت بين العُدوتين على تعاقب الدول حتى عهد الدولة الموحدية في القرن 6هـ، من خلال الوقوف على مظاهر الاندماج والتنافر، لإعطاء تفسيرات لهذه الثنائية، بحيادية لا تعصب فيها، والكشف عن الذهنية التي رسمتها، فالصورة تعبر عن الناظر أكثر من المنظور له وإبراز دور المدونات في صياغة التمثيلات الذهنية وإنتاجها، متجاوزين التناول التقليدي للنصوص بوصفها حشداً للمعلومات، لتحقيق الإضافة التي تحتاجها مثل هاته الدراسات في وطننا العربي. نظراً لطبيعة الموضوع ومصادره فقد اعتمد المنهج التاريخي بألياته المتعددة المتناسبة مع الموضوع وهي: التحليل، وذلك بالوقوف على الأدبيات وتحليل خطابها لفهم رمزية النصوص، وبنيته، استقراء المحتوى التاريخي، مع المقارنة التي تستوجبها الدراسة، بين العُدوتين من جهة، والمواقف من جهة أخرى.

1. الإطار التاريخي للعلاقة بين العدوتين:

ساهم القرب الجغرافي بين العدو الأندلسية والمغربية في تسهيل التواصل بينهما، وتمهيد الطريق لتوثيق العلاقات الحضارية بمختلف أشكالها.

وقد كان الفتح الإسلامي المنطلق لدخول البربر إلى الأندلس، فالجيش الفاتح بقيادة طارق بن زياد تألف من إثناعشر ألف جندي جُلهم من البربر، وقد تواصلت هجراتهم بعد ذلك لاعتبارات عدة أهمها:

- قرب العدو المغربية من الأندلس، فلا يفصل بينهما إلا مضيق جبل طارق الذي تصل أقصر مسافة بين ضفتيه إلى 14 كلم.

- متاخمة الأندلس لأرض النصرى، مما جعلها فضاء خصبا للجهاد؛ الذي كانت نفوس البربر تهفو إليه.

- غنى الأندلس بالخيرات و الثروات التي رأى فيها البعض مجالا لتحسين أوضاعهم المعيشية. ووتيرة الهجرة لم تسر على خط واحد، بل كانت ترتفع وتنخفض حسب الظروف، إذ نجد أنها تراجعت عند نشوب الثورة بين العرب والبربر في عهد عبد الملك بن قطن الفهري سنة 123هـ/741م، بل غادروا مواطن استقرارهم وعادوا أدراجهم، وكان ذلك وبالا على المسلمين في الأندلس، لأن إخلاء البربر للمناطق الشمالية سمح للعدو باحتلالها، حتى يُقال أن الإمارة الإسبانية تضاعف حجمها خمس مرات بعد فرار البربر إلى المغرب ناجين بأنفسهم¹، لتُستأنف الهجرة من جديد بعد ذلك، وتبلغ أوجها خلال

القرن 4هـ/10م، عندما تمت الاستعانة بهم كأجناد في الجيش خاصة في عهد المنصور بن أبي عامر². امتاز البربر باندماجهم السريع في المجتمع نظرا لقربهم من السكان الأصليين في المزاج والطبع كما أنه لم تكن لهم لغة بقوة وعراقة اللغة العربية، ولا عصبية بحدة عصبية العرب تعوقهم عن الامتزاج العفوي بالآخر، وهو ما جعلهم يلعبون دورا محوريا في نشر الإسلام بين السكان الأصليين³، بل إنهم اتحدوا مع العرب الأوائل من طالعي موسى والحربن عبد الرحمن مشكلين ما عُرف بالبلديين، فتعربوا وعزفوا عن استعمال لهجاتهم الأصلية.

¹ - سامية مصطفى مسعد: التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره في سقوط الأندلس (93-

422هـ)، عين للدراسات الإنسانية والبحوث الاجتماعية، القاهرة، 2004م، ص5.

² - عبادة رضا كحيلة: العقد الثمين في تاريخ المسلمين، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1996، ص343.

³ - حسين مؤنس: فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م)، دار المناهل، ط1، بيروت، 2002، ص429-430.

غير أن البربر الذين استقدمهم المنصور بن أبي عامر كجنود مرتزقة ظلوا متمسكين بخصوصيتهم من حيث الزي واللغة¹، مما جعلهم منبوذين من السكان، وصاروا بعد وفاة ابنه عبد الملك خطرا على الأندلسيين وبؤرة تموج بالاضطرابات²، وهذا ما يفسر تخريبهم لقرطبة. فالبربر الأوائل اندمجوا في المجتمع وانصهروا فيه، أما المتأخرون منهم والذين كانوا في الأساس جنودا فقد ظلوا متقوقعين على أنفسهم رافضين الذوبان في قالب المجتمع الأندلسي. وسترجح الموازين لصالح بربر العدو المغربية بقيام دولة المرابطين واستنجاح المعتمد بن عباد بهم، فبعدما كان ملوك الطوائف يهادنون النصارى ويدفعون لهم الجزية صاغرين قرر المعتمد بن عباد أن يكسر طوق الخنوع ويتحرر من هاته الهيمنة بالاستعانة بالقوة المستجدة التي فرضت سيطرتها على بلاد المغرب، فأرسل إلى يوسف بن تاشفين مستغيثا، وقد لئى المرابطون النداء وجازوا الزقاق منقذين في جمادى الأولى 479هـ/ 1086م، وكان لانتصارهم في الزلاقة الوقع الحسن في نفوس الأندلسيين، ولن يكون هذا الجواز الوحيد بل سيتبعه ثان وثالث ورابع سنة 496هـ/ 1102م تخضع على إثره الأندلس إلى حكم المرابطين بعدما قضوا على ملوك الطوائف. بتفشي الضعف في دولة المرابطين أواخر أيامها، وتزايد التكالب الصليبي على المدن الأندلسية وتضاعف خطرهم استنجد أهلها بالموحدين وطلبوا المعونة منهم، وكان لهم ما أرادوا لتخضع الأندلس بعدها لحكمهم وتصبح تابعة للمرة الثانية للعدوة المغربية. أي أن الأندلس فقدت استقلالها وصارت خاضعة لسلطة المغرب طوال العهد المرابطي والموحدي، لتتشكل بهذا علاقة مختلفة عما كانت عليه في العهود السابقة، فبعدما كانت الأندلس المزهوة بنفسها المتعالية بحضارتها المستقلة في حكمها وسيدة قراراتها، صارت الخاضعة التابعة لسلطة غيرها. إنَّ هذا التطور التاريخي السياسي للأندلس أثر في نظرة سكانها، وتصوراتهم لمجتمع المغرب الإسلامي، وساهم مع عوامل أخرى -ستذكر لاحقا- في تشكيل الذهنية الأندلسية الجماعية، التي ستتجلى بعض ملامحها في نتاجهم الأدبي.

¹ - عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510هـ-546هـ/ 1116م-1151م) تاريخ سياسي وحضاري، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ص260.

² - ج. س. كولان: الأندلس: ترجمة: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة 1980، ص129.

2- دراسة تحليلية للمدونات الأندلسية: قبل الخوض في غمار الدراسة نتعرف أولا عن

الجو الفكري العام الذي ظهرت فيه هذه المدونات، لأن ذلك من شأنه المساعدة في فهم وتفسير محتواها.

2.1- الحركة الفكرية في الأندلس : امتازت الحياة الفكرية الأندلسية بالازدهار والرقى في مختلف

العلوم النقلية منها والعقلية، لذا كان نتاجهم المعرفي متنوعا زائدا، ويعود ذلك أساسا إلى اهتمام الأندلسيين بالعلم والمعرفة، وقد ساهمت عوامل عدة بتضافرها في هذا الازدهار أهمها:

1- الدين الإسلامي الذي يحث على العلم والمعرفة، ويجعل من التدبر والتفكير سبيلا من سبل العبادة، فإقرأ هي الأمر الإلهي الأول الذي نزل به جبريل عليه السلام على المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، ثم ما تلاها من الآيات القرآنية الموجهة للعلم والعلماء، الداعية لإعمال العقل، إلى جانب العديد من الأحاديث النبوية الشريفة المبينة لفضل العلم وطلبه، فالحكمة ظالة المؤمن.

زد على أن توظيف العلم ضرورة لأداء العديد من العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها. 2- الاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس منذ صارت إمارة أموية، وقد ترسخ أكثر في عهد الخلافة مما فسح المجال واسعا لازدهار مناحي الحياة جميعها خاصة الثقافية منها، لأن الاستقرار واستتباب الأوضاع وشيوع الأمن ضرورة لكل نهضة حضارية.

3- الاحترام والتكريم والتمكين الذي ناله العلماء في الأندلس "فالعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يُشار إليه ويُحال عليه، وينبّه قدره وذكره عند الناس، ويُكرم في جوار أو ابتياح أو حاجة، وما أشبه ذلك."¹

والمؤكد أن هذا التكريم والاهتمام لم يكن طفرة اختص بها عصر دون آخر، بل هو ميزة طاغية على الحضارة الإسلامية أينما حطّت ركابها.

واللافت أن حكام الأندلس أمراء وخلفاء كانوا جزءا فاعلا في الحركة الثقافية ومحركا أساسيا لها، ولعل أشهرهم في ذلك على الإطلاق -دون حصر- الخليفة الحكم المستنصر² الذي تجمع المصادر على حبه

¹- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: مريم قاسم الطويل ويوسف علي الطويل، ج1، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص211.

²- هو الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله، يكنى أبا العاص، أمه أم ولد تدعى مرجان، تولى الخلافة وعمره سبع وأربعين سنة، يوم الخميس 3 رمضان 350هـ، دامت خلافته خمسة عشر سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، توفي في 2 صفر 366هـ كان حسن السيرة عادلا، شغوبا بالعلم، جماعا للكتب،

للعلم وإكرامه لأهله وجمعه للكتب، ومما قيل فيه: "لم يُسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمُّم بها. أفاء على العلم، ونوّه بأهله، ورغّب الناس في طلبه، ووصلت عطاياه إلى فقهاء الأمصار النائية عنه"¹

لذا صارت بلاطاتهم مرتعا للعلماء من كل فن واختصاص، يكرمونهم ويقربونهم، ويؤثرونهم المكانة المرموقة، كما يجتمعون معهم في مجالس

العلم لتطرح الآراء ومناقشتها، وهو ما شجعهم على الانصراف للبحث والتأليف رفعا لأقذارهم من جهة ونيلًا للثروة من جهة أخرى.²

4- طبيعة أهل الأندلس المجبولين على حب العلم، المقبلين على طلبه، إذ يصفهم المقرئ في نفحه بأنهم أحرص الناس على التميز في فنون العلوم، ومن لم يوفقه الله في العلم يتميز بصنعة تكفيه العوز للناس³ لذا لم يوجد فيها طفل أو طفلة بلغ الثانية عشرة لم يتعلم القراءة والكتابة بعد.⁴ أضف إلى أن العلم سبيل من السبل الموصلة للسلطة والجاه، سلكه البعض طلبا لمنصب ورغبة في الحصول على امتيازات مادية، وإن كان الدافع الذاتي المنبثق عن تبجيل العلم وطلبه لذاته موجودا عند البعض الآخر أيضا.

يرسل في الأقطار من يشترى لها، حتى كون مكتبة هي الأكبر في زمانه، واصل مسيرة سلفه في الحفاظ على قوة=

= الدولة ومكانتها، وإخماد بوادر الفتن، يعيب عليه بعض المؤرخين توليته العهد لابنه هشاما وهو بعد حدث صغير. (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (الحميدي): جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966، ص 13. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ابن الأثير): الحلة السرياء، تحقيق: حسين مؤنس، ج 1، دار المعارف، ط 2، القاهرة، 1985، ص ص 200-205. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان ولفي بروفنسال، ج 2، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1971، ص ص 233-253).¹ ابن الأثير: المصدر السابق، ص 201.

² - حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر، ط 1، مصر، 1998م، ص 30.

³ - المقرئ: المصدر السابق، ص 211.

⁴ - إبراهيم علي العكش: التربية والتعليم في الأندلس، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، كلية التربية، الجامعة الأردنية، 1420هـ/1982م، ص 47.

5- انتشار مراكز التعليم وتوفير وسائله، أولها وأهمها المسجد، فهو المؤسسة التعليمية الأكبر في الإسلام، تزامن بناء مع خطوات الفتح الأولى مما ساهم في دفع التعليم قدماً نحو الأمام، كما قامت مؤسسات تعليمية أخرى كالكتاتيب (المكاتب) التي تكون إما غرفة في منزل أو فناء أو حانوت يُعلَّم فيها الصغار، تُبنى عادة بالقرب من المسجد لأن المحتسب كره تأديب الصبيان في المساجد، لقلة توقّهم النجاسة التي قد تلتصق بأرجلهم أو ثيابهم، كما أن التعليم فيها بأجرة وهو تكسب من جنس التجارة.¹ ويُعد المنزل مدرسة الطفل الأولى، إذ تحرص الأسرة على تعليمه بعض المبادئ الأولية كالحروف والأرقام وسور من القرآن، نستشف ذلك من شهادة ابن حزم الذي أكّد أن معرفته بأخبار النساء وأسرارهن مرجعها إلى كونه رُئي في حجورهن، فهنّ من علمنهن القرآن، وحفظنهن الأشعار، ودربنهن على الخط²، ثم عندما يبدأ الطفل في التمييز والإدراك يُرسل إلى المكتب.

أما الخلفاء والخاصة فقد استدعوا العلماء لتدريس أبنائهم في منازلهم، كما اتخذ الفقهاء بيوتهم للتدريس فيها.³

وهناك إشارات للتدريس في السجون ودكاكين الوراقين التي عُدت ملتقى للعلماء والأدباء ومحبي المعرفة ومجالس علمية تجمعهم.

ومع أنه لم يكن للتعليم مؤسسة رسمية تشرف عليه وتدير شؤونها، إلا أن الدولة ساهمت بطرق شتى في تمويله -سواء بشكل مباشر أو غير مباشر- منها: بناء المساجد والاعتناء بها والصرف عليها والتكفل بنفقاتها، إضافة إلى تقديم مكافآت ورواتب للعلماء في ظروف معينة دون أن يكون ذلك سياسة مقررّة شاملة⁴، إلى جانب بناء الكتاتيب والوقف عليها مثل ما فعل الحكم المستنصر، الذي بنى سبعة وعشرين مكتبة، ثلاثة منها حول المسجد الجامع، وباقها في كل ربض من أرباض قرطبة، واتخذ المؤدبين وأجرى عليهم الرواتب لتعليم أبناء الفقراء.⁵

¹ - أبو بكر محمد بن وليد الطرطوشي: الحوادث والبدع، ضبط وتعليق: علي بن حسن بن علي الحلبي، دار ابن الجوزي، ط1، المملكة العربية السعودية، 1990، ص 123.

² - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: محمد يوسف الشيخ محمد و غريد يوسف الشيخ محمد- دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 2004، ص6.

³ - أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال: كتاب الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1996، ص41.

⁴ - إبراهيم علي العكش: المرجع السابق، ص51.

⁵ - ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص240.

6- إسناد الوظائف الهامة غالبا للجدير بها دون مراعاة لنسب أو جاه، لذا اتُخذ العلم سلما يرتقيه الصاعد ليبلغ أعلى الوظائف التي تتوافق مع إمكانياته وجدارته، وهو ما شجع أهل الذمة على السير في هذا الركب مما أهلهم لتولي مناصب هامة كالوزارة والسفارة وغيرها، ففي أندلس التسامح لا ميز ولا تفرقة.

7- التنافس بين الأندلس والمشرق وسعي الأمويين لاستعادة مجدهم المسلوب من طرف العباسيين، وإن شكلت المنافسة ما يشبه القطيعة أول أمرها لتتلاشى على عهد عبد الرحمن الأوسط الذي أعاد الصلة بالمشرق، فأدخل ماكان عند العباسيين من علوم وفنون، وضخم ملكه ومنحه أبهة الجلال، فصار الطريق من قرطبة إلى بغداد لا يغيب عنه ضوء العلم¹، ليصير التنافس مضمارا قوياً أواصر الترابط الثقافي، وجعل من الأندلس منارة حضارية تستقطب نفائس المشرق ومعارفه، وقبلة يشد العلماء الرحال إليها.

8- الرحلات العلمية والاتصالات الثقافية بين أقطار العالم الإسلامي، فالطلاب الأندلسيون لم يكتفوا بتحصيل العلم على أرض الوطن بل هاجروا في سبيله إلى الحواضر الإسلامية الأخرى في مصر وبلاد الشام والحجاز مروراً بالحواضر المغربية كالقيروان، للاستزادة منه ونيل الإجازة من كبار العلماء والمشايخ هناك، فالرحلة من أعلى مراحل التعليم وبها يكتمل طلب العلم، لذا نجد كتب السير والتراجم تُركز بشكل لافت على رحلة المترجم له، وتعدد بحرصٍ شيوخه الذين قد يزيدون عن المائتين لدى البعض، فهم وسام وشارة تميز على صدر طالب العلم. وإدراكاً لأهمية الرحلة في التحصيل العلمي فقد استُغلت حتى الرحلات التي انطلقت أساساً لدوافع دينية مثل أداء فريضة الحج أو مادية من أجل التجارة في حضور مجالس أفضل المعلمين، اغتناما لفرصة قد لا تُتاح مجدداً.

وساهمت هذه الرحلات في إدخال الكتب كذلك، فطلبة العلم أحضروا في جعبتهم حين العودة الكثير من الكتب ونشروها، كما أن المشاركة الذين حطوا الرحال في الأندلس جاءوا بإنتاجهم الفكري، الأكثر من ذلك أن حكامها أرسلوا مبعوثين عنهم لانتقاء بديع المؤلفات والإتيان بها، حتى أن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني مثلاً نُشر في الأندلس قبل بغداد التي أُلّف فيها، بعدما أرسل الخليفة المستنصر ألف دينار ذهباً عينا لمؤلفه لاقتناء نسخة منه، فأرسله إليه وزاد أن أُلّف له كتاباً في أنساب بني أمية

¹ - أحمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2، تونس، 1998، ص20.

موشحة بمناقهم وأسماء رجالهم¹، وجاء بالكتب أيضا التجار والرحالة الذين لم يكن هدفهم حين السفر طلب العلم، ليبيعوها ويحصلوا الربح، أو يقدموها هدايا².

بالموازاة مع الرحلات الخارجية وجدت الرحلات الداخلية في ربوع الأندلس، إذ يتنقل الطالب نحو الحواضر والمدن الرئيسية، خاصة قرطبة حين كانت عاصمة الخلافة.

والرحلات باختلاف أنواعها ساهمت بشكل لافت في رفع المستوى التعليمي، وخلق تفاعل واحتكاك حضاري أضفى حيوية على الحياة الثقافية.

9- صناعة الورق ودورها في نشر العلم والثقافة وتنشيط الحياة الفكرية من خلال دفع حركة التأليف ونسخ الكتب قدما إلى الأمام، لأنه كلما كثرت المواد المساعدة على التدوين والتسجيل ورخص ثمنها كثر التدوين وسهلت عملياته، وقد عرفت الصين صناعة الورق منذ القرن الأول الميلادي، اتخذته من عجينة الحرير والكتان وغيرهما من المواد، وعندما فتح المسلمون آسيا الوسطى وهزموا الصينيين في وقعة طلاس سنة 134هـ/751م عادوا بعشرين ألف أسير بينهم من يُجيد صناعة الورق، فاستعملوهم لصناعته في سمرقند، ثم أشار الفضل بن يحيى البرمكي وزير الرشيد بصناعة الكاغد (الورق)³ في بغداد حيث أُقيم أول مصنع بها سنة 794م، لينتقل بعدها إلى بلاد الشام فمصر فالمغرب فالأندلس التي شُيد فيها أول مصنع سنة 950م⁴، واشتهرت شاطبة بصناعته إلى جانب طليطلة وغرناطة وبلنسية وغيرهم من الحواضر.

فأزاح البردي (القرطاس) عن الاستعمال وقلل من استخدام الرق وهو ما قلل بدوره من تكاليف الكتب⁵، لأن الورق أرخص من غيره، مما ساهم بفعالية في ازدهار الوراقة وحيويتها، وبالتالي كثر الإنتاج الفكري وأصبح الكتاب في متناول طالبيه غالبا، حتى أن الناس صارت تتخير النسخة الأجود طبعا وتجليدا وخطا، فلكل مؤلف أو صاحب مكتبة نُسخه مما ساهم إيجابا في وفرة الكتب.

¹ - ابن الأثير: المصدر السابق، ج 1، ص 201، 202.

² - خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس أصولها الشرقية وتأثيراتها المغربية، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط 2، القاهرة، 1994، ص 152.

³ - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 334.

⁴ - محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرهما، مؤسسة الرسالة، ط 2، بيروت، 1978، ص 74.

⁵ - خوليان ريبيرا: المجمع السابق، ص 149.

لذا عُدت الوراقاة من أشرف المهين، فهي من توابيع العمران واتساع الدولة كما يشير إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته، وللوراقين الفضل في إثراء الحياة الفكرية بكثرة التأليف فانتشرت المكتبات، كما عُدت دكاكينهم نوادي ثقافية يلتقي فيها الأدباء والعلماء وتُعقد فيها المناظرات والمحاورات. 10- شغف الأندلسيين بالكتب، فالكتاب وعاء المعرفة والوسيلة التعليمية الأهم آنذاك، تحرّوا حيازته وجمعه حبا وهياما، منشئين بذلك المكتبات الضخمة بأنواعها، سواء العامة المتاحة أمام الجمهور للاستفادة من مقتنياتها، والتي يُقال أن عددها كان يربو عن السبعين¹، أو الخاصة الواقعة في ملكية الأفراد والأسر، كمكتبة الخليفة الحكم المستنصر التي تعتبر من أكبر مكتبات العالم الإسلامي، فقد "جمع من الكتب ما لا يُعدُّ ولا يوصف كثرة ونفاسة، حتى قيل: إنها كانت أربعمئة ألف مجلد، وإنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها"².

11- تعدد المراكز الثقافية في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية، إذ أصبحت عاصمة كل دولة من دول الطوائف منارة علمية، ليمتد التنافس السياسي بينها إلى الجانب الفكري أيضا، فكل أمير يسعى للظهور بمظهر الراعي للعلم والمعرفة مباهايا بجمع أكبر عدد من العلماء المشهورين في مختلف المجالات باذلا جهده لاستقطابهم، أضف إلى أن غياب عامل الأمن استوجب على العلماء التنقل من مدينة لأخرى وهو ما أتاح لطلاب العلم حضور حلقات أهم العلماء الذين كانت تستأثر بهم قرطبة³. وكان من آثار الفتنة أيضا بيع كتب مكتبة الحكم بأبخس ثمن وأتفه قيمة، فانتشرت تلك الكتب في أقطار الأندلس⁴، وقس على ذلك مع بقية المكتبات المنتشرة في قرطبة، وهو ما زاد في إقبال الناس على القراءة، وسمح بتوفر كتب كانت حكرا على قرطبة والعلماء والدارسين المتمركزين فيها. إذا فقد كانت لنكسة أقول نجم قرطبة آثار إيجابية تمثلت في اقتسام تركتها الثقافية، وانتشارها في بقاع الأندلس ليزول بذلك احتكارها المعرفي.

2.2- المدونات الأندلسية مقارنة ذهنية : احتاجت الحركة العلمية والفكرية الأندلسية وقتا لترسيخ جذورها وتأسيس وجودها إلى أن أصبحت الأرقى في أوروبا كلها، ففي بداية عهد الولاة الذي اتصف بعدم الاستقرار السياسي والصراعات القبلية انصب الاهتمام الأكبر على العلوم الدينية

¹ - حامد الشافعي دياب: المرجع السابق، ص 98.

² - المقرئ: المصدر السابق، مج 1، ص 379.

³ - أحمد ضيف: المرجع السابق، ص 67.

⁴ - أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للأباء البيض، بيروت، 1912، ص 67.

المرتبطة بحياة المسلم وعقيدته، ثم بدأت الأبواب تُفتح على مصراعها أمام بقية العلوم، لتصل الأندلس زمن الخلافة إلى ذروة المجد الفكري والحضاري. والنتاج الفكري الأندلسي زاخر في فروع العلوم والفنون، ولأنه يتعذر علينا حشد كل المدونات التي أشارت للبربر فسنتقي أمثلة للدراسة كالآتي:

1.2.2- المصادر التاريخية: بدأت الكتابة التاريخية في الأندلس على يد عبد الملك بن حبيب (ت: 238هـ/ 852م) لتشهد تطوراً ملحوظاً خلال القرن 4هـ/ 10م مع أسرة آل الرازي، نخص بالذكر منهم أحمد (ت: 344هـ/ 955م) وابنه عيسى (ت: 379هـ/ 981م) الذين ظلت كتاباتهم أساساً يستند إليهم المؤرخون على مدار قرن، إلى أن لمع نجم أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي (ت 469هـ/ 1076م)، الذي يُعد من أبرز المؤرخين الأندلسيين¹، وأشهر كتبه "المقتبس" و"المتين"

يمتاز ابن حيان في كتاباته بدقة الضبط، إذ يُخضع ما يكتبه للنقد نابذاً الأساطير والخرافات، مقابل الروايات لانتقاء الصحيح منها، فهو ليس مجرد ناقل بل محص يتحرى النزاهة والتجرد من الهوى². وتتجلى من خلال كتاباته أندلسيته وحبه لوطنه، حبا لم يمنعه من نقد النظام، والكشف عن عيوب مجتمعه³، هذه الروح الناقدة جعلته لا يتوانى عن التنديد بقسوة البربر وحقدهم ورغبتهم في تقويض أسس الحضارة الأندلسية، ملتزماً في ذلك النزاهة لا التعصب، فمبعث الكراهة ليس عرقياً بل بسبب الفتنة التي أحدثوها في بلاده⁴.

فها هو يمتدح قوتهم في أكثر من موقع منه قوله: "...وفيه رجال مقدمون في البأس والرجولة..."⁵، فابن حيان -كأنموذج للمؤرخين الأندلسيين- يعطينا ملمحاً عن ازدواجية النظرة، ازدواجية فرضتها عوامل متعددة سياسية منها وحضارية.

2.2.2- المصادر الأدبية: متنوعة من حيث فنونها وأغراضها، نذكر منها:

¹ - عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، ط1، بغداد، 1988، ص 63.

² - أبو مروان حيان خلف بن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1994، ص 86.

³ - نفسه، ص 91.

⁴ - نفسه، ص ص 92، 93.

⁵ - أبو مروان حيان خلف بن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2006، ص 150.

"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لأبي الحسن علي بن بسام الشنتري (ت 542هـ/1148م) الذي ترجم فيه لأدباء الأندلس خلال القرن 5هـ/11م، تبياناً لفضلهم و"غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بدوره أهلة، وتصبح بحاره ثماداً مضمحلة؛ مع كثرة أدبائه، ووفرة علمائه" ¹ فأهله يَمُموا وجوههم صوب المشرق، مفتونين به متجاهلين نتاج قرائح أدباء قطرهم ²، مما استوجب حفظ هذا الإرث، لذا نلجح في الكتاب نزعة دفاعية عن الذات الأندلسية المبدعة، دون تحامل أو تجريح.

وفي معرض ترجمته ترد أحاديث عن البربر، فنجد مثلاً وصفاً لمعركة الزلاقة بقلم الفقيه الكاتب أبي بكر محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة (ت: 508هـ/) يمتدح فيها أمير المسلمين ناصر الدين أبو يعقوب يوسف بن تاشفين ³، كما يورد بالمناسبة أشعاراً تمتدحه كقول عبد الجليل بن وهبون:

فثار إلى الطعان حليف صدق تثور به الحفيظة والذمام
نمى في حمير وامتلك لخم وتلك وشائج فيها التحام
فيوسف يوسف إذا أنت منه كيامن لا وهى لكما نظام ⁴

وقول أبو الحسن بن محمد بن الجديّ مادحا يوسف بن تاشفين بعد ذمه لملوك الطوائف وتخاذلهم:

وانظر إلى الصبح سيفاً في يد ملك في الله من جنده التأييد والظفر
يرعى الرعايا بطرف ساهر يقظ كما رعاها بطرف ساهر عمر ⁵

إلى جانب الذخيرة هناك العديد من الكتب الأدبية كالداوين الشعرية، كتب الأمثال التي تعتبر صوتاً للعامة لا النخبة كغيرها، رسائل المناظرة مثل رسالة الشقندي التي كتبها بأمر من أبي يحيى بن أبي زكريا صاحب سبتة، رداً على أبي يحيى بن المعلم الطنجي، بعد نزاع بينهما في التفضيل بين الغدوتين ⁶، وقد انبرى الشقندي مدافعاً عن الأندلس مينا لفضلها، مباهاياً بحكامها وعلمائها وأدبائها ومدنها، مع شيء من التقليل والتقزيم للعدوة المغربية، وفق ما تقتضيه طبيعة المفاضلات كجنس أدبي قائم على المخاطرة بشيء على حساب الآخر، ومما قاله في هذا الشأن:

¹ - أبو الحسن علي بن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس،

ق1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000، ص20.

² - نفسه.

³ - المصدر نفسه، ق2، ص ص190-191.

⁴ - نفسه، ص 192.

⁵ - نفسه، ص 200.

⁶ - المقرئ: المصدر السابق، مج4، ص 163.

"...رام أن يُفضل بَرَّ العدو على بَرِّ الأندلس، فرام أن يفضل على اليمين اليسار، ويقول: الليل أضوأ من النهار، فيا عجباً كيف قابل العوالي بالزجاج، وصادم الصِّفاة بالزجاج... وكيف تتكثر بما جعله الله قليلاً، وتتعزز بما حكم الله أن يكون ذليلاً؟ ما هذه المباهة التي لا تجوز؟ وكيف تبدي أمام الفتاة العجوز؟..."¹

المقامات كالمقامة البربرية لأبي طاهر محمد بن يوسف السرقسطي (ت: 538هـ/ 1143م)، التي يظهر فيها متحاملاً على البربر، يُشبههم بالأنعام ساخراً من لهجتهم غير المفهومة عنده، واصفا إياهم في مطلع مقامته قائلاً: "...كأنني أصحاب الهائم، أو أُسيم السوائم، غير أنها لا تنقاد ولا تُسالم، ولا تُعاقل ولا تُحالم..."² وقد مال إليهم في طريقه إلى الأندلس البلد النظرموطن الحضارة، التي يتشوق لزيارتها³، وعلى طول المقامة الواحدة والأربعين يُظهر مثالب البربر ويعيبهم رغم كرمهم، وحسن الضيافة.

3.2.2- المهادر الجغرافية: بدأ اهتمام الأندلسيين بالتدوين الجغرافي منذ عهد الخلافة الأموية، وكان من أبرز جغرافيتها عبد الله بن عبد العزيز بن محمد⁴ لبكري (ت: 487هـ/ 1094م)، صاحب كتاب "المسالك والممالك"، الذي فقد ولم يبق منه إلا جزء في صفة المغرب، يصف فيه المسالك والمدن والقرى التي تربطها، مضمناً كلامه أخباراً عن القطر محل الحديث⁴، وأبرز الأحداث الواقعة، مع تعداد تعداد لعادات المنطقة ومعتقداتها، وبيدوا في هذا محايداً دقيق النقل والوصف، فمثلاً في حديثه عن قبيلة برغواطة يتحدث عن قرآنهم الذي وضعه لهم صالح بن طريف والمكون من ثمانين سورة⁵، ويسرد ويسرد عاداتهم دون أن

إن المصادر الأندلسية على تنوعها تُجلى صورة مجتمع المغرب الإسلامي في الذهنية الأندلسية، ونجد أن هذه الصورة متغيرة الملامح، فالحضور البربري فيها كان متمائزاً بين الاندماج والتنافر، وفق الشكل التالي:

أ- مظاهر الاندماج:

¹ - المقرئ: المصدر السابق، ص 164.

² - أبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي: المقامات للزومية، تحقيق: حسن الوراكلي، جدارا للكتاب العالمي وعالم الكتاب الحديث، عمان، ط2، 2006، ص 385.

³ - نفسه.

⁴ - أنخل جونثالث بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، القاهرة، 1955م، ص 310.

⁵ - أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، تقديم وتعليق: ولد السالم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2013، ص 218.

يُراد بالاندماج هنا التفاعل البربري مع المنظومة الأندلسية الاجتماعية والثقافية والحضارية، بما يُتيح له الذوبان فيها، والمشاركة في فضاءاتها.

وقد أخذ الاندماج مظاهر أهمها:

- الزواج المختلط بين العرب والبربر، وبروز أنساب مزدوجة الهوية، في تلاحم ووافق.
- التأثيرات الاجتماعية المتبادلة، في اللباس والطعام والعادات والتقاليد...
- المشاركة في الحياة العلمية والفكرية، والنماذج هنا كثيرة من العلماء البربر الذين اعتلوا مكانة مرموقة بفضل العلم، ولعل يحيى بن يحيى الليثي¹ أنموذج يُغني عن إيراد غيره على كثرتهم.
- كما أن كتب التراجم للجهتين لا تخلوا من إيراد سير الأفاضل من العلماء دون تحيز عرقي أو إقليمي.
- التبادل الثقافي والزيارات المتكررة من علماء الأندلس للبلطات المرابطية والموحدية في المغرب، مثال ذلك ما أورده المقرئ في نفحه عن المناظرة التي جرت بين ابن رشد وابن زهر بين يدي الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ / 1184-1199م) فضل فيها ابن رشد قرطبة على اشبيلية باعتبارها موطن العلم.²
- فالرحلة العلمية كانت وثيقة بين العُدوتين، فكل أندلسي يشق طريقه نحو المشرق لا بد يحط رحاله في بلاد المغرب ناهلا من العلوم والمعارف قبل مواصلة طريقه، بل واستقروا فيها، وبلغ استقرارهم الأوج على عهد الموحدين، نذكر من هؤلاء الفقيه والطبيب الشاعر علي بن أحمد بن محمد بن عثمان بن يحيى الكلبي وقد توفي بمراكش سنة 1199هـ/1191م.³
- كما حجَّ المغاربة صوب الأندلس نظرا للمستوى العلمي والمعرفي الراقى فيها، والنهضة الفكرية التي شهدت.

¹ - هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير، بربري الأصل من موالى بني ليث، طلب العلم بالأندلس ثم قصد المشرق حاجا، فأدرك الإمام مالك بن أنس بالمدينة وسمع منه الموطأ، وهو الذي لقبه "عقل الأندلس"، نال حظوة وقدرًا عظيمًا، وانتهت الفتيا إليه، كان ذا سمت وهيبة، قرَّبه الأمير عبد الرحمن الأوسط وكان يشاوره، ولا يُعين القضاة إلا برأيه، وبفضله نال فقهاء المالكية مكانتهم المرموقة وحظوتهم عند السلطة. (محمد بن حارث الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريان لويسا أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، د.ط، مدريد، 1991م، ص ص: 348، 395، 363).

² - المقرئ، المصدر السابق، مج 1، ص 154.

³ - الشريف يحيى بن حمزة الوزنة: أثر الأندلس الحضاري على المغرب في المجال الاجتماعي، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، مج 4، العدد 38، ديسمبر 2022، ص 21.

- الاندماج اللغوي، وتعلم البربر العربية بصفتها لغة الدين، ومساهماتهم الفعالة في نشر الإسلام في أوساط النصارى الأندلسيين، والدور نفسه لعبة الأندلسيون في المغرب، إذ ساعدوا على انتشارا للغة العربية والحضارة الأندلسية فيه، باستقرت في الحواضر الكبرى مثل: تونس، وهران، تطوان، الرباط، فاس وحتى في بعض النواحي الجبلية¹

- العلاقات الاقتصادية بين الأندلس والمغرب، والتي تعتبر من أوثق الروابط²، فقد كانت نشطة بينهما نتيجة ازدهار الزراعي والصناعي والتطور الحضاري لكل قطر، مما جعل الأسواق تزدهم بمنتجات الآخر، تربط بينهما الخطوط البحرية من السفن التي تمر عبر باب المتوسط ناقلة السلع جيئة وذهابا³. وقد ظلت هذه الصلات متينة إلى أن انهارت الخلافة الأموية وتشرذمت الأندلس، ولكنها عادت مجددا في عهدي المرابطين والموحدين⁴، بل زادت متانة لدخول القطر تحت لواء سلطة سياسية واحدة. - شكّل البربر نواة هامة في الجيوش الأندلسية سواء أثناء الفتح أو بعده، وكانوا يقدون على الأندلس بصفتها ثغرا جهاديا، ولتداعيات كثيرة، إذ استعان بهم عبد الرحمن اناصر وابنه الحكم المستنصر كجنود في الجيش، وكذلك فعل المنصور بن أبي عامر الذي قوى بهم شوكتهم لكسرقوة العرب، تخوفا من انقلابهم عليه وطمعهم في السلطة وهو الفاقد للشرعية بصفته مستول على الحكم من يد هشام المؤيد، الذي أقصاه وأبعده وإن ظل محافظا على مظاهر وفي المقابل جند المرابطون والموحدون الأندلسيين في جيوشهم الجهادية، وقد استقطبوا العديد من القادة الذين كونوا قسما هاما من هاته الجيوش، لها مكانتها وألويتها الخاصة⁵.

ب- مظاهر التنافر:

يُشير التنافر إلى أشكال التوتر والتمييز التي مارسها بعض الفئات الاجتماعية، خصوصا النخبة العربية، تجاه البربر، من خلال الخطاب الأدبي والسياسي، أو عبر مظاهر الإقصاء. ويأخذ التنافر بين العدوتين صورا أهمها: - الصراع على السلطة، حيث تميزت بعض فترات الحكم الأموي والطوائف بمحاولات الحد من النفوذ البربري، لا سيما عندما بدؤوا يشكلون تهديدا سياسيا.

¹ - نفسه، ص 22.

² - سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2000، ص 127.

³ - نفسه، ص 168.

⁴ - نفسه، ص 174.

⁵ - الشريف يحي الوزنة: المرجع السابق، ص 21.

- الخطاب العنصري في رسائل بعض العلماء مثل: ابن عبد البر وابن حزم... وغيرهما، إشارات إلى تمايز العرب عن البربر في النسب والمكانة، رغم عدم التصريح الصريح.
- التهميش الاجتماعي إذ ظل البربر في بعض المناطق الطرفية يعانون من ضعف في الخدمات والتمثيل السياسي، ما زاد من شعورهم بالانفصال عن المركز.
- احتلت العلاقة بين الأندلس والمغرب الإسلامي حيزا هاما في تاريخ الغرب الإسلامي، وسننظر إليها بمنظور أندلسي، إذ ننطلق من الذهنية الأندلسية لرسم صورة الآخر المغربي، استنادا على مدوناتها المختلفة التاريخية والأدبية... وغيرها.

3- التمثيلات الذهنية لمجتمع المغرب الإسلامي من خلال نصوص المدونات

الأندلسية: قبل التفصيل في التصورات الذهنية الأندلسية وتمثلاتها اتجاه الآخر البربري، وجب تتبع الأطر التي نمت فيها هاته التصورات وتحددت، لأن ذلك سيتيح لنا تفسير الكثير من الممارسات وفهمها.

3.1: **أطر تشكل الذهنية الأندلسية:** هناك عوامل عدة وظروف متنوعة تتحكم في رسم صورة الآخر المغربي في الذهنية الأندلسية أهمها:

- تأثير الموقع الجغرافي والخصائص الطبيعية، فالأندلس شبه الجزيرة النائية بنفسها عن العالم الإسلامي الواقعة في الضفة الأوروبية اكتسبت شخصية مستقلة عن السلطة المركزية في المشرق، مما جعل الأندلسيين ميالين للاستقلال والثورة بطبيعتهم¹، حتى على السلطة في دولتهم، وقد انغرس هذا عميقا في الذهنية الأندلسية الناقدة للحكام والفقهاء والقضاة وكل ما لا يتوافق مع نهجها، المترمة في إقامة الحدود، والمتعصبة لمذهبها، وكأن هاته الحدة درع للأمان
- فالموقع الجغرافي غرس فيهم هذه الحاجة لإحساسهم بالغربة، نظرا لموقعهم المتطرف بُعدا.
- التغيرات السياسية التي شهدتها الأندلس عبر تاريخها، وخضوعها لسلطة بربرية زمن المرابطين والموحدين، مما جعل العقل الجمعي الأندلسي متذبذب في تصوراته للآخر المغربي بين الامتنان والسخط، الخضوع والنفور.
- التواجد البربري في الأندلس، فهجراتهم كانت أسرع وأكثف، لقرب منازلهم، وشعورهم بالاستحقاق نظرا لفضلهم في فتحها، وتطلعهم إليها بعين الأمل المعجب بالوطن الجديد².

¹ - أدبي ولد آدب: المفاضلات في الأدب الأندلسية الذهنية والأنساق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، قطر، 2015، صص 120، 121.

² - حمدي عبد المنعم حسين: ثورات البربر في الأندلس في عهد الإمارة الأموية (138-316هـ/756-928م) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993، ص3.

الأوائل الذين دخلوا فاتحين ثم المهاجرين فرادى وجماعات اندمجوا مع العرب وشكلوا ما يعرف بالبلدين، ولكن الحكام أمثال عبد الرحمن الداخل والمنصور بن أبي عامر استكثروا من البربر واتخذوهم جندا ليستعينوا بهم على كسر شوكة العرب، وبالتالي التخفيف من سلطتهم والقضاء على العصبية التي انتقلت معهم من المشرق.

والملاحظ أن الجنود حافظوا على هويتهم وسمات الشخصية البربرية، ولم ينصهروا كسابقهم في المجتمع ويزوبوا فيه.

والحضور البربري في التاريخ الأندلسي لم يكن مستكينا مسالما، فلهم ثوراتهم وتمرداتهم المستعرة هنا وهناك على طول مراحل الوجود الإسلامي فيها، لأن اعتزازهم بقوتهم نفخ فيهم روحا متأججة لم تعد تحتمل عسفا أو سوء إدارة¹، استغلوا معها حالات الوهن والاضطراب التي تعترى الدولة لينقلبوا عليها، وثوراتهم عديدة منذ عهد الولاة، تمدد بعضها ليشمل العُدوتين، أو يبدأ في المغرب ليصل إلى الأندلس ولا يتسع المجال هنا لتعدادها، لعل أقساها وطأ الفتنة البربرية الممتدة من 399هـ إلى غاية 422هـ، لتنتهي بسقوط الخلافة الأموية وتخريب قرطبة، التي أحوالوا الحياة فيها جحيما، حتى أن الأندلسيين صاروا يستخفون ليلا لدفن موتاهم في المقابر خوف البطش بهم.

ومن الأسر التي احتلت مكانة سياسية أواخر الخلافة الأموية، الأسرتين البربريتين: بنو رزين وبنو ذنون، وفي زمن الفتنة تغلبوا على بعض ثغور الأندلس واستقل بنو ذنون بطليطلة، وكانوا قبلا في خدمة المنصور بن أبي عامر، أما بنو رزين فقد استقلوا بشتمرية الشرق، إلى جانب بنو برزال في قرمونة، وبنو زيري الصنهاجيون في غرناطة.

وحق المرابطين الذين دخلوا أول أمرهم كمنقذين تحولوا في نظر الأندلسيين إلى مستعمرين -إن جاز قول ذلك- قضوا على الكيان الأندلسي وصاروا حكاما، لذا فإن الصورة ليست نمطية ثابتة بل تتغير ملامحها وتفصيلها وفق التداعيات السياسية.

- أغلب المصادر المتوفرة والتي تظهر نظرة سوداوية للأندلسيين اتجاه البربر كُتبت خلال القرن 5هـ/11م، أي بعد الاضطرابات التي كان البربر محرّكها² والتي تصفها هذه المصادر بالفتنة البربرية، فالبربر في هذه الحقبة عاثوا فسادا في الأندلس وصارت إليهم موازين القوى، وانفردوا بحكم العديد من

¹ - حسين مؤنس: ثورات البربر في إفريقيا والأندلس بين سنتي 102-136هـ/721-753، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، 1948، ص3.

² - محمد حقي: البربر في الأندلس دراسة تاريخية لمجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92هـ/711م - 422هـ/1031م)، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص146.

المناطق بعدما وزع عليهم المستعدين تركة الخلافة الأموية المهارة، ليشيدوا إماراتهم المستقلة، ثم تفقد الأندلس سيادتها لتصبح تابعة للدولة المرابطية ثم الموحدية بعدها.

- إيمان الأندلسيين بأنهم أرقى حضاريا وأكثر تطورا من البربر، وحالة الاعتراف بتأزهاته مكون أساسي في الذهنية الأندلسية.

- طرق التجارة عبر مضيق جبل طارق جعلت من المغرب بوابة الأندلس نحو إفريقيا، ولكن هذا لم يمنع من صراع السيطرة، يحاول فيه كل طرف فرض هيمنته، والتحكم في الدروب التجارية، فهناك إذا تكامل وتنافس اقتصادي في الآن نفسه.

- البنية الأثينية للمجتمع الأندلسي، فهو مزيج من الأعراق، من عرب وبربر ومولدين¹ وأهل ذمة²: نصاري ويهود.

وبهذه المقاييس نخرج بنتيجة مفادها أن الأندلسيين لم تكن لهم صورة نمطية ثابتة للآخر المغربي، بل تعدلت هذه الصورة وتبدلت بما يتناسب مع المستجدات السياسية والعسكرية من جهة وانعكاساتها الاجتماعية والحضارية من جهة أخرى.

3.2: نصوص وتمثيلات: انطلاقا من نصوص المدونات يتضح لنا أن نظرة الأندلسيين للمغاربة لم تكن على مستوى واحد، بل امتازت بازدواجية فرضتها الأطر التي شكلت الذهنية الأندلسية - كما سبق الشرح- لذا فإن الموضوعية تقتضي تقصي النصوص دون تحامل أو حكم مسبق، خاصة وأن اللغة حمالة أوجه، واحتمالات التأويل مفتوحة حسب توجهات القارئ، وقدرته على ليّ أعناق النصوص. إن الأمثال تعطينا صورة أكثر تجردا من التنميق اللغوي والبديع الذي تمتاز به لغة الأندلسيين عموما في مختلف نتاجهم، كما أن لغتها أقرب لعاميهم مما يجعلها أكثر مصداقية في نقل تمثيلات العامة الذهنية اتجاه الآخر، ومن خلال الاطلاع على كتاب "أمثال العوام" للزجالي نجد أنه يتضمن أمثالا

¹ - هم نتاج تزاوج المسلمين الداخلين إلى الأندلس من عرب وبربر مع الإسبانيات، ويعتبر عبد العزيز بن موسى بن نصير أول من سنَّ هذه السنة بزواجه من أرملة لذريق "أيلة" التي تسميها المصادر العربية أم عاصم. (ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص23).

² - هم غير المسلمين في المجتمع المسلم، والذمة تعني العهد والأمان، وقد سموا بذلك لأن لهم عهد الله ورسوله وجماعة المسلمين بالعيش في حماية وكنف العالم الإسلامي آمنين ومطمئنين، ولهم مقابل ذلك

واجبات يؤدونها منها دفع الجزية. (علي الحسني الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969، ص 65).

فيها تحقير وتقليل من قيمة المغاربة، مثل قولهم: "طالع هابط بحل عمام في راس مرابط" ¹ ففي هذا المثل استهزاء بالبربر لأن الغالب على الأندلسيين ترك لبس العمام، وخبر التعميم الذي أورده ابن عذارى في كتابه البيان المغرب يؤكد هذه النظرة، فهو يصفه بأنه أنكى ما حصل في القطر، وذلك حين أمر عبد الرحمن شنجول بن المنصور أهل خدمته بطرح القلائس ولبس العمام، وقد استهجن الناس الزي الجديد وتطيروا منه واصفين إياه بالقبح ².

ويقولون كذلك: "البربري والفار لا تعلم باب الدار" ³، "عطي للبربري شبر طلب ذراع" ⁴ فهم هنا طماعون كثيرون المطالبة، وهناك أمثلة أخرى تعبر عن الغباء والبلاهة،

وما نستشفه من هذه الأمثال عموما الازدراء والكراهية التي يكنها الأندلسيون لأهل العدو.

لكن الأمر يستوجب وقفة لنكون أكثر إنصافا، لأن هناك بالمقابل أمثالا تمتدح البربر وإن كانت أقل من نظيرتها، كقولهم "لا حُر إلا زناتي، ولا فرس إلا مكالاتي" ⁵، وكلاهما قبيلتان بربريتان، زيادة على أن عدد الأمثال الواردة في هذا الكتاب بلغ 2157 مثلاً، وما جاء فيه إشارة للبربر لا يزيد عن 13 مثلاً، وليست كلها ذماً، وهذه النسبة ضئيلة عموماً، خاصة إذا عرفنا أن الأندلسيين شديداً الانتقاد لكل شيء تقريباً، وفي أمثالهم ذمٌ لليهود والفقهاء وغيرهم من الفئات الاجتماعية.

زيادة على الأمثال هناك أشعار تصب في المعنى نفسه نورد منها:

ما قاله خلف بن فرج السمسير في هجاء صاحب غرناطة عبد الله بن بلقين الصنهاجي :

رأيت آدم في نومي فقلت له: أبا البرية إن الناس قد حكموا

أن البربر نسل منك قال: إذا حواء طالقة إن كان مازعوماً ⁶

السمسير في هجاء ناقد اجتماعي، لا يتوانى عن التعريض بكل ما لا يروقه حتى الحكام، ساخط بنقمة فلسفية ساعية لكشف الداء بحثاً عن دواء، مع شيء من الحقد الذاتي، ⁷ الذي يترجمه شعراً.

¹ - أبو يعي عبيد الله بن أحمد الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: محمد بن شريفة، ق2،

مطبعة محمد الخامس، فاس، 1975، ص 246.

² - ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 48.

³ - الزجالي: المصدر السابق، ص 45.

⁴ - نفسه، ص 375.

⁵ - نفسه، ص 457.

⁶ - المقرئ: المصدر السابق، مج4، ص369.

⁷ - إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، ط1، عمان،

1997، ص 115.

ما قاله يحيى بن عبد الجليل اليكبي هَجَاءَ المرابطين بعد مدحهم :
في لئى من ربط الميثام دناءة ولو أنه يعلوا علي لئيهوان
ما لفخر عندهم سوى أن ينقلوا من بطن زانية لظهر حصان
المنتمون لحمير لكنهم وضعوا القرون مواضع التيجان
لا تتدللين مرابطا ذا عفة واطلب شعاع النار في الغدران¹

كما هجا أهل فاس ولم يتب من هجائهم رغم تعرضه للسجن، ومما قاله فيهم:

قصدت جل فاس أسترزق الله فيهم
فما تيسر منهم دفعته لئنيهم²

ولكن وجب ألا تكون الأحكام عامة تفتقر للدقة، فبتتبع خلفيات الصورة التي رُسمت للبربري في
الذهنية الأندلسية نجد أن للتطورات السياسية والوقائع التاريخية دور في نسجها، لأن نقمة
الأندلسيين على البربر طفت على السطح بسبب ثوراتهم من جهة واختلاف طبائعهم عما ألفه
الأندلسيون الرافلون في حلل الحضارة من جهة أخرى، مما جعلهم ينظرون إليهم كبذو خارجين عن
الحضارة.

ففي فصول التاريخ الأندلسي الأولى امتزج البربر مع العرب الأوائل من طالعني موسى بن نصير التي
دخلت الأندلس في رمضان 93هـ/712م، وطالعة الحربين عبد الرحمن الثقفي الوافدة في ذي الحجة
97هـ/716م مشكلين ما عرف بالبلديين، وإلا ما لذي كان سيدفعهم للتوافد على الأندلس لو أنهم لم
يجدوا فيها المغريات التي تجعلهم يتحملون مشقة الترحال والنأي عن الديار، أبسطها التقبل والحياة
الأفضل خاصة وأن الأندلس كانت زاخرة بخيراتها، دون أن نتجاهل طبعا العامل الأبرز وهو روح الجهاد.
وخير مثال يُطرح في هذا المقام الفقيه يحيى بن يحيى المصمودي الليثي بالولاء، عاقل الأندلس ومن كبار
فقهائها، بفضل دخل موطأ مالك إليها، وقد احتل مكانة جليلة بين فقهاء كما يشير إلى ذلك الخشني
في كتابه أخبار الفقهاء والمحدثين، حتى أن الأمير عبد الرحمن الأوسط كان يستشير، ويعين ويعزل
القضاة بموافقة كما نجد أيضا منذر بن سعيد البلوطي وغيرهما...، فانحذارهم من أصل بربري لم
يقلل من قيمتهم في نظر المجتمع، إذ لم يرد في الأدبيات الأندلسية ما ينقص من قدرهم لكونهم بربري،
بل نال التقدير الذي يستحقه لعلمه وهو عاقل الأندلس، والمكانة نفسها نالها منذر بن سعيد البلوطي،
وغيرهما في هذا المجال وغيره كثير.

¹ - ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ج2، دار المعارف، ط4، مصر، ص 268.

² - نفسه، ص 269.

يُستنتج من هذا أن البربر الذين دخلوا في زمن الفتح والإمارة امتزجوا بالسكان وصاروا أندلسي الهوية، إذ لا ننسى أنهم أول الداخلين مع طارق بن زياد، وما كان معه من العرب قليل، كما أن قرب العدو المغربية من الأندلسية سهل توافد هجراتهم، ولكن الأمور لم تسرع على المنوال ذاته مع البربر الذين استقدمهم المنصور بن أبي عامر جنودا في جيشه، فقد حافظ هؤلاء على خصوصيتهم من حيث اللغة والزِّي، مما جعل السكان ينظرون إليهم بشيء من الازدراء والتوجس، زاد في تأجيج لهيب العداء الفتنة التي ساهمت في إلغاء الخلافة الأموية، والتي لعب فيها البربر دورا محوريا حتى أن المدونات الأندلسية تسميها "الفتنة البربرية".

وبدخول المرابطين لنجدة الأندلس من الخطر الصليبي زاد عدد البربر، لكن هؤلاء حافظوا أيضا على خصوصيتهم ولم يذوبوا في بوتقة المجتمع، بل ظلت لهم هويتهم المميزة خاصة على عهد يوسف بن تاشفين، لأن الأمور ستغير مع خلفائه وسيأخذون بنصيب من الحضارة الأندلسية وحياة الترف والبذخ، ويزيلون بُرد التقشف، وقد نظر الأندلسيون إليهم بادئ الأمر لثمنقذين وحماة الدين، وقصائد المدح فيهم لا تُعد، فهم الشجعان الدائدين هن حى الإسلام، الواقفين في وجه النصارى، إلا أن هذه النظرة انقلبت إلى العكس بعد عبورهم الثاني لتوحيد الأندلس والقضاء على تشرذم ملوك الطوائف، إذ صار الأندلسيون يتيبون قوة المرابطين ويخشونها ويتململون من تسلط الفقهاء عليهم، الذين علت مكانتهم زمن الدولة المرابطية¹.

إن النماذج مهما تعددت في أبوابها وكتائبها والزمن الذي دُونت فيه تجعلنا نستنتج أن أهل الأندلس تذبذبت نظرهم لأهل العدو حسب الظروف ومقتضى الحال، فهم إخوانهم وحلفاؤهم وشركاؤهم في الفتح وفي ربوع شبه الجزيرة الإيبيرية ومنقذوهم من بطش الصليبيين، ثم هم البدو الأجلاف سُلاب الحكم، وعموما فروح الاستعلاء واعتقادهم بأفضليتهم على البربر طاغية.

● خاتمة: انطلاقا من الدراسة نخرج بجملته من الاستنتاجات أهمها:

- تحكمت عوامل عدة في صياغة تصورات الأندلسيين الذهنية منها: التاريخية والسياسية، الجغرافية والاقتصادية، الثقافية والاجتماعية، أطرها الإسلام دين الدولة ورمز وحدتها.
- الحضور البربري في الأندلس كان كبيرا بصفتهم جنود في جيش لفتح، ثم جيوش في جيش الدولة الأموية، ليدخلوها سادة لها إبان عهدي المرابطين والموحدين.
- تراوح الوجود البربري في الأندلس بين الاندماج الذي حصل مع الزمن، والتنافر العائد لتداعيات منها: روح الأندلسيين الفخورة التي كانت ترى أن البربر دونها عنها حضارة، حالة الصراع على السلطة،

¹ - إحسان عباس: المرجع السابق، ص 115.

والثورات البربرية التي شهدتها الأندلس على مر تاريخها، ولكن هذا لا يلغي بالمرّة حقيقة التفاعل الحضاري واستفادة كل ضفة من الأخرى.

- المفاضلة لبننة أساسية في معتقدات الذهنية الأندلسية، وقد نشأت هذه الروح بحكم العزلة

الجغرافية، ورغبة الأندلس في إثبات ذاتها خاصة أمام المشرق كمنافس مغرور معتد بذاته.

- الأدبيات الأندلسية على تنوعها من تاريخية جغرافية إلى أدبية... لا تحمل بين طياتها نظرة واحدة ثابتة

للآخر المغربي، بل تتفاوت بين التقبل والاحتفاء، والمدح خاصة من ناحية القوة العسكرية، لأنه شكل

درعها الحامي ضد النصارى، وكذلك الاحتفاء الثقافي.

وفي المقابل هناك نظرة استعلاء لا يمكن حجبها، تتجلى في الأمثال والأزجال... وغيرها من الأدبيات التي

تصور الأندلسي فخورا، وهذا لم يأتي من فراغ، بل الأندلس تسيدت برقيها الحضاري، وتطورها

الفكري، ومنجزاتها العلمية، وحتى بذوقها الاجتماعي الرفيع، ولا أدلّ على ذلك من البصمات التي

مازالت تشهد لها حتى يومنا هذا.

- إن العدوتين المغربيتين مهما ظهر من شقاق بينهما إلا أن الانتماء الديني الواحد يربطهما، والروح

الإسلامية الخافقة في المهج تقوى الأواصر بينهما، وربما احتواء المغاربة للأندلسيين الفارين من بطش

محاكم التفتيش بعد سقوط الأندلس سنة 1492م دليل على ذلك لا يخفى وميضه.

قائمة المصادر والمراجع:

أ/ المصادر:

1- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، تقديم وتعليق: ولد السالم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2013.

2- ابن الأثير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي : الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985.

3- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك: كتاب الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1996.

4- ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألف، تحقيق: محمد يوسف الشيخ محمد و غريد يوسف الشيخ محمد- دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 2004.

5- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1994.

6- ابن حيان أبو مروان حيان خلف: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2006.

- 7- ابن صاعد أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي : طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء البيض، بيروت، 1912.
 - 8- ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
 - 9- الزجالي أبو يحيى عبيد الله بن أحمد: أمثال العوام في الأندلس ، تحقيق: محمد بن شريفة، ق2، مطبعة محمد الخامس، فاس، 1975.
 - 10- الحُميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966.
 - 11- الطرطوشي أبو بكر محمد بن وليد: الحوادث والبداية، ضبط وتعليق: علي بن حسن بن علي الحلبي، دار ابن الجوزي، ط1، المملكة العربية السعودية، 1990.
 - 12- المقري أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق: مريم قاسم الطويل ويوسف علي الطويل ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
 - 13- المراكشي ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1971.
 - 14- المغربي ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، مصر، د.ت.
 - 15- السرقسطي أبو الطاهر محمد بن يوسف: المقامات اللزومية، تحقيق: حسن الوراكي، جدارا للكتاب العالمي وعالم الكتاب الحديث، عمان، ط2، 2006.
 - 16- الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000.
 - 17- الخشني محمد بن حارث : أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، د.ط، مدريد، 1991م.
- ب/ المراجع العربية:
- 1- دياب حامد الشافعي: الكتب والمكتبات في الأندلس ، دار قباء للطباعة والنشر، ط 1، مصر، 1998م.
 - 2- دندش عصمت عبد اللطيف: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510هـ-546هـ/ 1116م-1151م) تاريخ سياسي وحضاري، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.
 - 3- الوزنة الشريف يحيى بن حمزة: أثر الأندلس الحضاري على المغرب في المجال الاجتماعي ، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، مج 4، العدد 38، ديسمبر 2022.

- 4- ولد أدب أدي: المفاضلات في الأدب الأندلسية الذهنية والأنساق ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، قطر، 2015.
 - 5- حمادة محمد ماهر: المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرهما ، مؤسسة الرسالة، ط 2، بيروت، 1978.
 - 6- حسين حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس في عهد الإمارة الأموية (138-316هـ / 756-928م) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.
 - 7- حقي م حمد: البربر في الأندلس دراسة تاريخية لمجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92هـ/711م- 422هـ/1031م)، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2001.
 - 8- طه عبد الواحد ذنون: نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، ط 1، بغداد، 1988.
 - 9- كحيلة عبادة رضا: العقد الثمين في تاريخ المسلمين، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1996، ص343.
 - 10- مؤنس حسين: ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي 102-136هـ / 721-753، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، 1948.
 - 11- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م)، دار المناهل، ط1، بيروت، 2002.
 - 12- مسعد سامية مصطفى: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2000.
 - 13- التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره في سقوط الأندلس (93-422هـ)، عين للدراسات الإنسانية والبحوث الاجتماعية، القاهرة، 2004م.
 - 14- عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، ط 1، عمان، 1997.
 - 15- العكش إبراهيم علي: التربية والتعليم في الأندلس، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، كلية التربية، الجامعة الأردنية، 1420هـ/1982م.
 - 16- الخربوطلي علي الحسني: الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969.
 - 17- ضيف أحمد: بلاغة العرب في الأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2، تونس، 1998.
- ج/ المراجع المترجمة:
- 1- بالنثيا أنخل جونثال: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، القاهرة، 1955م.

- 2- كولان ج. س: الأندلس: ترجمة: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة 1980.
- 3- ربيرا خوليان: التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها المغربية ، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994.